"نظرة على الإعلام العربي"

عنوان هذا المقال؛ هو عنوان "التقرير" الصادر هذا الشهر عن "نادي دبي للصحافة"، والذي يقدم مضمونا، يتجاوز مجرد رصد الأوضاع الراهنة للإعلام العربي، إلى محاولة التوقع بأوضاعه المستقبلية على المدى القريب، حيث يغطي هذا "التقرير" الفترة من العام 2009 وحتى 2013.

يقدم "التقرير" –من ضمن ما يقدمه- صورة متفائلة لحالة صناعة الإعلام العربي خلال الخمس السنوات القادمة، فوفقا للتقرير المذكور، من المتوقع أن تشهد هذه الصناعة نموا في جميع قطاعاتها، خلافا لمعظم الأسواق العالمية التي تأثرت بشدة بالأزمة الاقتصادية العالمية، وهذا التفاؤل لا يأتي من فراغ، وإنما ينطلق من التطورات الحاصلة خلال الآونة الأخيرة في عملية إنتاج المحتوى المحلي، وتبدو الدراما التليفزيونية أبرز تجلياته، وخاصة منها الدراما: السورية والمصرية والخليجية، والتي شهدت نموا ملحوظا خلال السنوات الماضية، سواء من حيث الكم أو الكيف، ومن ثم يتوقع هذا "التقرير" أن التطورات "يمكن أن تساعد على دفع عجلة النمو في قيمة المحتوى المحلي العربي على مدى السنوات الخمس المقبلة". وهذا يمثل إشادة مستحقة للقائمين على صناعة الدراما التليفزيونية، ويدفعهم في الوقت نفسه إلى بذل مزيد من الجهود للارتقاء بمستوى هذه المادة المحببة إلى نفوس الجماهير العربية، والتي تستأثر باهتمام مختلف فئات المجتمع، وتبرز في مقدمة رهانات الصناعة الإعلامية المستقبلية، كما يشير إلى ذلك تقرير "نظرة على الإعلام العربي".

أما فيما يتعلق بالإعلام العربي المطبوع؛ فيرصد "التقرير" المذكور صورة مغايرة لما آل إليه اليوم حال هذا النوع من الإعلام في عدد من دول العالم، بفعل ثورة الاتصالات، والتي تلحق آثارها مختلف مجالات الحياة العصرية، وتحدث بوتيرة متسارعة، في حين أن الإعلام العربي المطبوع قد "واصل تحقيق معدلات نمو على صعيد عدد العناوين، وحجم التوزيع خلال السنوات الأخيرة، وذلك على الرغم من التباطؤ المتوقع في معدل نمو قطاع الإعلام المطبوع، فإنه لا يزال أكثر مرونة مما هو عليه في الأسواق الأخرى"، على حد ما جاء في هذا التقرير، والذي لم يغفل تأثير شبكة "الانترنت" على الصحافة التقليدية الورقية في المنطقة العربية، مما دعا معظم المؤسسات الإعلامية إلى استخدام هذه الشبكة، ولكن كعامل مكمل لنشر نسخها المطبوعة.

وعلى الرغم من أهمية هذه الجزئية، والتي قد تسعد القائمين على صناعة الإعلام العربي المطبوع، وخاصة منهم الناشرين، و تطمئنهم على مستقبل هذه الصناعة الورقية، بل وقد تجذب مزيدا من الاستثمار في هذا المجال، إلا أن هناك قراءة أخرى لهذا المشهد الإعلامي المقروء، فحواها أننا نعيش حراكا عربيا بطيئا على الصعيد التكنولوجي، بما في ذلك قلة عدد مستخدمي التكنولوجيا، وتعميم استخدامها بين الناس، واعتمادها والاعتماد عليها كأسلوب حياة عصرية، فضلا عن ضعف الإسهام العربي الفاعل في هذه الصناعة، وذلك بمستويات متفاوتة بين الأقطار العربية، ولكن في المجمل لا تزال هناك مساحة كبيرة تفصلنا عن اللحاق بركب هذه الصناعة المتقدمة التي غدت عصب الحياة العصرية، ومن ثم؛ فإن حفاظ الإعلام المطبوع على مكانته التقليدية، أو تأثره المحدود بالتغيرات التكنولوجية، يعود في الأساس إلى ضعف الدول العربية في توطين التكنولوجيا، وبطء انتشار استخدامها بين أفراد الجمهور العربي، وليس بالضرورة أن ذلك يعود كلية إلى مواطن القوة الداخلية في هذا الإعلام، والتي أدت إلى حفاظه على مكانته في الصناعة الإعلامية، في العصر الرقمي، والذي يوصف –من ضمن ما يوصف به- بوفرة المعلومات، وتدفقها الغزير.

وبوجه عام؛ يعتبر "تقرير نظرة على الإعلام العربي" الذي صدر لأول مرة في عام 2007 من الوثائق العربية المهمة التي تسد فراغا في خانة هذا الإعلام، وذلك فيما يتعلق بعملية رصد حراكه، ومتابعة خطواته، وتقييم أدائه وتحليله، فضلا عن الجزء المستقبلي من هذا "التقرير"، والذي يمكن تصنيفه ضمن دراسة المستقبليات التي تفتقر إليها

المنطقة العربية، جراء قلة المؤسسات البحثية العلمية الأكاديمية الرصينة التي هي بمثابة "خزانات الفكر" Think Tanks الموجودة في عدد من الدول الغربية، وتمثل مرجعا علميا هاما لصناعة القرار بمختلف مستوياته في سائر جوانب الحياة.